تأثير البيئة في تشكيل الشعر دراسة في نماذج من شعر "حيدر محمود"

م. د. عمار يوسف عبد الحسن كلية التربية - جامعة سامراء
ammar. y@uosamarra. edu. iq

الملخص:

في العقد الأخير من القرن الماضي، بدأ الأدب يعكس البيئة بشكل واضح؛ إذ أصبحت القضايا البيئية أكثر بروزًا في المجتمع والسياسة والأدب. استفاد الكتّاب المعاصرون من هذه الفرصة للتأمل في القضايا البيئية. ولكل منهم وجهة نظره الخاصة. من بين هؤلاء الكتاب، يبرز الشاعر الأردني حيدر محمود. الذي جعل من البيئة مرآة شاملة في شعره، مستوحياً محتواه وأسلوبه من الطبيعة وعناصرها. وكما هو معروف بشعره الوطني عن فلسطين والأردن، تمّ تطبيق المنهج الوصفي التحليلي لإعادة قراءة وتحليل ديوانه الشعري، وخاصة في كتابه "الأعمال الشعرية"، الذي يتناول انعكاس الطبيعة في قصائده. تشير نتائج هذا البحث إلى أنّ تجربة حيدر محمود البيولوجية والثقافية كانت لها تأثير كبير في تشكيل خطابه الشعري، مما أضفى على شعره جوًا عاطفيًا ومعرفيًا.

تناغم حيدر محمود مع التحولات والاهتمامات الإنسانية المعاصرة، إذ أقام علاقة متينة بين الطبيعة والإنسان في شعره. ظهر هذا الموقف الأدبي الخاص في شكل بعض التغريبات التي جعلت الطبيعة مرئية -بشكل واضح- في أعماله.

الكلمات المفتاحية: حماية البيئة والتفاعل معها، التنوع البيولوجي، الصورة الشعرية، الحكمة.

The Impact of Environment on Shaping Poetry: A Study of Selected Works by Haidar Mahmoud.

Dr. Ammar Youssef Abdul Hassan
College of Education / Samarra University

Summary:

In the last decade of the last century, literature began to clearly reflect the environment, as environmental issues became more prominent in society, politics, and literature. Contemporary writers have seized this opportunity to contemplate environmental issues, each presenting their own perspective. Among these writers is the Jordanian poet Haidar Mahmoud, who has made the environment a comprehensive mirror in his poetry, drawing inspiration from its content and elements. Known for his national poetry about Palestine and Jordan, a descriptive-analytical approach was applied to re-read and analyze his poetry collection, particularly in his book "The Collected Poems," which addresses the reflection of nature in his verses. The results of this research indicate that Haidar Mahmoud’s biological and cultural experiences significantly influenced the formation of his poetic discourse, imbuing his work with an emotional and cognitive atmosphere.

Haidar Mahmoud's harmony with contemporary human transformations and interests has established a strong connection between nature and humanity in his poetry. This distinctive literary stance is manifested in various motifs that render nature visibly prominent in his works.

keywords:Environmental protection and interaction, biodiversity, poetic imagery, wisdom.

المقدمة:

الأدب أحد أهم الأشكال الفنية التي تعبر عن القيم والتقاليد الثقافية لمجتمع ما، ويعبر عن اهتمامات الناس وتطلعاتهم وينقل جميع جوانب التجربة الإنسانية. والشعر هو أحد أهم أشكال التعبير التي تعكس ثقافة الإنسان وهويته، ويتجاوز مجرد الكلمات ليجسد بشكل حيوي المشاعر والأفكار ذات الصلة بمحيط الشاعر، ومن خلاله يمكن للأدباء والشعراء استكشاف ظواهر جديدة ومعالجة القضايا المعاصرة بطرق مبتكرة، مما يثري التجربة الإنسانية بأكملها، بما في ذلك الأبعاد الاجتماعية والهوية الثقافية(السويدي، 1991، يُنظر: 255- 256).

يوفّر الأدب للكتّاب منصة للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم تجاه مجتمعاتهم، سواء كانت تلك الآراء تعكس الفخر والإنجازات أو تتضمن انتقادات وتحذيرات من المخاطر الاجتماعية والسياسية. من خلال السرد والشعر، يستطيع الأدباء استخدام الرموز والصور الشعرية لتقديم وجهات نظر معقدة وزيادة الوعي بالقضايا المعاصرة مثل التغير المناخي، والعدالة الاجتماعية، والهويات الثقافية. بهذه الطريقة، لا يقتصر الأدب على تصوير الواقع فقط، بل يسعى أيضًا إلى تشكيل فكرة جديدة له من خلال تقديم رؤى متنوعة، مما يعزز الحوار الاجتماعي ويحفز التغيير الإيجابي(م. كوركينيان، 1986، يُنظر: 208). لذا، فإنّ الأدب ليس مجرد تعبير عن الذات، بل هو وسيلة للتفاعل مع المجتمع وفهمه بعمق أكبر.

تتجاوز العِلاقة بين البيئة والنص الأدبي الدلالة الجغرافية لتصبح ذات دلالة أدبية فكرية، حيث يظهر ذلك في الأشكال المتطورة التي يتبناها الفنانون في صياغة أعمالهم. وتمثل الأعمال الأدبية المعاصرة جسرًا يربط

بين قضايا المجتمع المختلفة والتوجهات الأدبية الحديثة، مما يسهم في إيقاظ الوعي الاجتماعي والنقد الإبداعي.

يواجه الكتاب المعاصرون الذين يرتبطون بأعمالهم بالأزمات البيئية والظواهر الجديدة تحديًا حساسًا يتمثل في السعي لإحداث تغيير فعلي في مجتمعاتهم. من خلال تسليط الضوء على القضايا الراهنة، يسعى هؤلاء الكتاب إلى تعزيز التفاعل بين النصوص الأدبية والجمهور، مما يساهم بشكل كبير في توسيع آفاق الحوار الثقافي.

حيدر محمود واحدًا من أبرز الشعراء الذين تمكنوا من استخدام لغة الشعر كمرآة تظهر بيئتهم وتصوراتهم. امتازت قصائده بعلاقتها الوثيقة بالواقع المجتمعي والطبيعي الذي يعيش فيه، حيث يسلط الضوء على القضايا المحلية ويعبر عن آمال وتطلعات مجتمعه.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف كيف يعكس شعر حيدر محمود بيئته من خلال تحليل الموضوعات التي يتناولها والمفردات التي يستخدمها. كما ستعتمد الدراسة على المصادر المعاصرة للوصول إلى فهم أفضل لمكانة الشاعر وتأثيره في الأدب العربي المعاصر. وسيتم تحليل نص القصيدة لإظهار كيفية تفاعل الشاعر مع محيطه، بما في ذلك تجسيد الرموز الطبيعية واستحضار الأحداث الاجتماعية.

سيتم تناول هذا البحث في عدة محاور شمل في البداية لمحة عامة عن حياة الشاعر وسياق بيئته، ثم تحليل شامل لقصائده، وفي النهاية مناقشة النتائج التي تم التوصل إليها من الدراسة. من خلال هذا البحث، نسعى إلى تقديم فهم أعمق للشعر كوسيلة تعبير حيوية، وكيف يمكن أن يعكس واقعًا معينًا بشكل مبدع ومؤثر.

المبحث الأول

الشاعر حيدر محمود

ولد في 29 يناير 1945 في قرية يازور بالقرب من يافا، هاجر مع عائلته إلى لبنان خلال حرب النكبة عام 1948 وعاش في مخيم للاجئين الفلسطينيين (الشيمي، 2022).

درس الأدب العربي في الجامعة اللبنانية وعُرف بشعره الذي يعكس الوجع الفلسطيني والحنين إلى الوطن. تتمحور معظم كتاباته حول قضايا الهوية والحرية والأمل.

شاعر وكاتب فلسطيني معروف، وقد أصدر العديد من المجموعات الشعرية. من بين مجموعاته الشعرية المشهورة:

نهاية الأرض (1973)

المنفى (1983)

تحت سماء واحدة (1984)

الخريف في جعبتي (1985)

أوراق الشجر (1987)

عالم الغيم (2003)

هناك المزيد من الأعمال الشعرية والنثرية له، حيث يعكس شعره مواضيع متعددة تتعلق بالهوية والانتماء والنضال الفلسطيني (الروضان، 2005، يُنظر: 130)، فاز بالعديد من الجوائز عن أعماله الأدبية وأطلق العديد من الفعاليات الثقافية لتسليط الضوء على الأدب الفلسطيني.

في 18 يناير 2022، رحل حيدر محمود تاركاً وراءه إرثاً أدبياً ثرياً عبّر عن روح الشعب الفلسطيني ومعاناته.

العلاقة بين الإنسان والطبيعة:

يرتبط الإنسان ارتباطًا وثيقًا ببيئته، أنتج هذا الارتباط أنماطًا خاصة لها صفات ومظاهر مختلفة عن غيرها. منها ما خارجي طبيعي وبشري الذي يقسم على اجتماعي، سياسي، اقتصاد، ساهم العديد من الكتاب والنقاد بشكل كبير في مجال القراءة البيئية. فيما يلي بعض الأسماء البارزة:

ويليام روكيرت: يرجع إليه الفضل في استخدام مصطلح (النقد البيئي) أول مرة في أواخر السبعينيات. وهو يركز على العِلاقة بين الأدب والبيئة وكيف يمكن للأدب أن يعكس القضايا البيئية. عدّت نظريات ميشيل فوكو وإدوارد سعيد مهمة لدراسة البيئة بوصفها بنية ثقافية في حد ذاتها وقد أسس ماكفارلين دراسة أكاديمية للأدب البريطاني وعلاقته بالأدب، أما إرنست فيشر، فيرى أنّ الإنسان يحتاج إلى أن يكون أكثر مما هو عليه (كارتر، 2010، يُنظر: 153- 154)، فهو يطمح ويسعى إلى أن يصبح كائنًا كليًا يحقق هدفًا أسمى (فيشر، 1971، يُنظر: 9). ويخصص ديفيد كارتر فَقَرة قصيرة للنقد البيئي فيفصل الاتجاهات الجديدة في أدب ونقد وثقافة ما بعد الحداثة في كتابه القيّم النظرية الأدبية. وهو يتتبع تطور الحركة البيئية ويستكشف الموضوعات الرئيسية التي شغلت النقاد البيئيين، بما في ذلك: التلوث، والحياة الطبيعية، والرؤية، والمساكن، والحيوانات، والأرض.

جسد حيدر محمود العِلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة وكيف يمكن أن تكون هذه العِلاقة مصدراً للإلهام والإبداع عبر التفاعلات النصية لبيان قوة العِلاقة بين الشعر والبيئة، كما يظهر ذلك في قصائده التي تناولت تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية كما يقال "بيئة طبيعية، وبيئة اجتماعية، وبيئة سياسية" (مجموعة مؤلفين، 1972: 1-75).

العلاقة بين الإنسان والبيئة

لا يمكن فهم النصوص الأدبية بشكل كامل إلا من خلال إدراك البيئة الاجتماعية والثقافية التي تنتمي إليها "وأول سمات هذه الإبداعية تتمثل في التلاحم بين المضمون الروحي وملامح البيئة" (نجيب، 1982: 504)، لأنّ النص يمثل جزءًا صغيرًا (بنية مجهرية) ضمن نظام أكبر هو المجتمع (بنية كلية)، لفهم النص بشكل عميق، يجب أن نكون على دراية بمكونات المجتمع الذي وُلد فيه النص، مثل العادات والتقاليد والقيم، فضلًا عن العوامل الاقتصادية والسياسية وغيرها (مجموعة مؤلفين، 1986: 83)، والنقد البيئي هو مجال يتسم بالتعددية ويجمع بين الأدب والبيئة، إذ يسعى إلى دراسة العلاقة بين النصوص الأدبية وظروفها المادية المحيطة بها، و"الثقافة سواء أكانت مادية أم غير مادية فإنّها تتغير حسب البيئة المحيط بها وقد يكون هذا التغيير جزئيا وكليا بما فيها الأشكال الفكرية والفلسفية والفنية" (الأغا، 2000: 28)، يدرس هذا المجال كيفية تمثيل الطبيعة والمكان والبيئة في الأدب وكيف تؤثر هذه التمثيلات على فهمنا للبيئة والقضايا البيئية.

يركز النقد الإيكولوجي على كيفية تصوير الأدب للطبيعة والبيئة وكيف يمكن للأدب أن يساهم في تعزيز الوعي البيئي وحل المشكلات البيئية من خلال تقديم وجهات نظر جديدة ومختلفة[1]، ومن خلال النقد البيئي، يمكن

---

[1] يُنظر: مقدمة في النقد الإيكولوجي غراهام هارمن، يقدم هذا الكتاب نظرة شاملة حول كيفية التعامل مع الأدب من منظور بيئي وكيف يمكن للأعمال الأدبية أن تساهم في فهم العلاقة بين البشر والطبيعة؛ الأدب وعلم البيئة وجهات نظر جديدة: سارة أودونيل، يتناول الكتاب كيفية تصوير الأدب للطبيعة وكيف يمكن أن يسهم في إحداث تغيير اجتماعي وبيئي؛ دليل هارفارد العلمي لأبحاث النقد الإيكولوجي، والذي يضم

فهم كيف يمكن للأدب أن يعكس القضايا البيئية، ويعبّر عن المخاوف البيئية، ويصبح وسيلة للدعوة إلى التغيير. ومن خلال إضافة بُعد جديد لتحليل الأدب، يمكن النظر إلى النصوص من منظور بيئي واكتساب فهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والطبيعة.

أبرز العديد من الكتاب والمؤلفين أهمية حماية البيئة والموارد الطبيعية في أعمالهم. أدّت البيئة دورًا حيويًا في تشكيل التنمية الثقافية والطبيعية، حيث يعتمد البشر بشكل كبير على العوامل الطبيعية والجغرافية مثل المناخ وتوافر الموارد. يُعد حيدر محمود من الشعراء الذين تناولوا القضايا البيئية في كتاباتهم، مما يظهر اهتمامه العميق بالطبيعة. عن طريق النقد البيئي، يمكننا استكشاف كيفية تصويره للطبيعة وتفاعله معها في شعره. تعكس ملاحظات حيدر محمود البيئية رؤية جديدة تجاه الطبيعة، مما يسهم في تحسين العِلاقة بين الإنسان والبيئة.

في قصيدة (شجر الدفلى على النهر يغني) يعبّر حيدر محمود عن جمال الطبيعة وتأثيرها على البشر، مما يعكس رؤيته البيئية العميقة. لأنّ "الطبيعة هي المنبع الروحي للقواعد، والطبيعة قد تكون مماثلة في جسم الإنسان وعاداته وغرائزه، فلإنسان نفسه ظاهرة طبيعية من ظواهر هذا الكون الذي خلقه" (عبد الفتاح، 1986: 11)، يمكن لهذا النوع من الشعر أن يعزز الوعي البيئي ويدعو إلى حماية البيئة بتقديم منظور جديد للعلاقة بين البشر والطبيعة.

أهمية المنطقة الإحيائية في شعر حيدر محمود

حيدر محمود هو أحد الشعراء الذين استخدموا العناصر الطبيعية في شعره بشكل إبداعي، مما عزز جاذبية وحيوية الأشكال الشعرية. وفي قصائده، تتصدر الطبيعة والمناظر الطبيعية تعبيراته الشعرية، مما يظهر اهتمامه العميق بالبيئة.

ويمكن لمثل هذه القصائد أن ترفع الوعي البيئي وتدعو إلى حماية البيئة بتقديم منظور جديد للعلاقة بين الإنسان والطبيعة.

وتعد قصيدة (الويب الفلسطيني) خير مثال على استعمال الشاعر لعناصر الطبيعة في وصف الشباب الفلسطيني، بواسطة هذه القصيدة، يتمكن الشاعر من خلق صور شعرية جذابة وديناميكية باستخدام عناصر الطبيعة، فلا "يمكن فهم الأدب فهما حقيقيا إلا إذا فهمنا البيئة التي كان الأدب نتاجا لها" (عبد الرزاق، 1983: 46/1)، مما يعكس تفاعل الإنسان مع بيئته. في هذه القصيدة، نرى الشاعر يستخدم رموزًا من الطبيعة، مثل الأشجار والأنهار والجبال، لتصوير قوة وصمود الشباب الفلسطيني. هذه الصور من الطبيعة تعزز رسالة القصيدة وتضيف عمقاً وجمالاً للنص. فيقول:

"هل تعرفونَ الفتى أيّوب؟.
كان له..
فينا -إذا مرَّ-
عرسُ للحساسينِ..
وكانَ أجملَ مَنْ فينا،
وما حَمَلتْ.. أُمّي
بأعبقَ منهُ،
في الرّياحينِ..

إذا لَفى..
قالت الدنيا:
(الأبيُّ لَفى...)
وطأطأت هامها، كلُّ الميادينِ!
وكان أيوبُ (.. يا ما كان)
أُغنيةً،
على شفاهِ الحيارى،
والمساكين..." (محمود، 2001: 68- 69)، استعمال الشاعر للأسئلة في بداية القصيدة طريقة فعالة لجذب انتباه الجمهور وتحفيزه على مواصلة القراءة. تعدّ هذه التقنية نوعًا من التشويق وتعزز التفاعل مع النص بجعل القارئ يفكر في الإجابات، في المقطع الأخير، يعزز الشاعر قوة التعبير الشعري من خلال وصف الملامح الجسدية للشاب ومقارنتها بالعناصر الطبيعية. عندما تتحول الأشياء القديمة والمألوفة إلى أشياء جديدة من خلال التجربة، يصبح الخيال عنصرًا أساسيًا. وعندما يتواجد الخيال، يتمّ ابتكار الجديد، مما يجعل البعيد والقريب أكثر الأمور طبيعية وحتمية في هذا العالم (ديوي، 1963، يُنظر: 425)، ويضيف استخدام العناصر الطبيعية مثل الزهور والصخور البركانية عمقاً وجمالاً للنص من خلال تحويل السياق من الواقع إلى الخيال. جميل كالزهرة وقوي كالصخرة البركانية، فهو يعكس التوازن بين الجمال والقوة، مما يجعل الشاب نموذجًا للشجاعة والإصرار.

تحتوي قصيدة (غداً يكون لقاؤنا) على عدد من صور الطبيعة التي تعزز الوصف وتضيف عمقًا إلى المشاعر المعبر عنها. مثلًا، يستعمل الشاعر صورة النهر التي تعكس التناقض بين الحياة والموت، فتارةً تفيض وتارةً

أخرى تغرق. والعديد من الصور الطبيعية التي تعزز الوصف وتضفي عمقًا على المشاعر المعبر عنها، إذ يقول:

"غداً غداً..
سنلتقي فيا طيور ويا غصون
حُبّنا تفتحي وأورقي
ويا جبين الشمس،
اشرق وزيّن الدنيا،
أمام خطونا ونمق.
غدا، ستزهر المنى،
ندية في افقي
غداً، غداً، سنغرق
الوجود بالجنان حبيبتي،
غداً بنا، يبتدئ الزمان" (محمود، 2001: 333-334)، يستعمل الشاعر في قصائده عناصر الطبيعة بإبداع للتعبير عن الأمل والتفاؤل بمستقبل أفضل. باستعمال كلمات مثل (سنلتقي) و(سيزهر المنى) و(سنغمر الوجود بالجنة)، يعبر الشاعر عن رغبته في الوحدة وعودة الشعب إلى وطنه. باستعمال كلمات ذات معانٍ إيجابية، مثل (صفق) و(أشرق) و(زين) و(نامق) فهي تشجع مشاعر الأمل والتفاؤل. ترسم هذه الكلمات صوراً شعرية تجعل القارئ يتخيل وطناً خصباً مليئاً بالحياة والجمال. تضيف استعارات العناصر الطبيعية مثل الطيور والأغصان والأزهار عمقاً وجمالاً للنص، مما يجعل القصيدة وسيلة فعالة للتعبير عن الأمل في مستقبل أفضل. تعكس صور الطبيعة هذه رغبة الشاعر في أن يرى وطنه ينمو ويزدهر مثل العديد من البلدان الأخرى. يستعمل الشاعر بإبداع الجاذبية الأدبية والتجسيم لخلق

صور نقية وجذابة. إنّ استعمال العناصر الطبيعية مثل (الطيور)، و(أغصان هافانا)، و(حواجب الشمس)، يضفي على القصيدة جمالاً خاصاً ويعزز جاذبيتها. ويضفي تكرار الكلمات في النص إيقاعاً موسيقياً ويزيد من تأثيره العاطفي. ويجعل العناصر الطبيعية تبدو أكثر حيوية، مما يزيد من جمال القصيدة ويجعلها أكثر تأثيراً. هذه التقنيات لا تجعل من القصيدة وسيلة للتعبير عن المشاعر فحسب، بل تجعلها تجربة جمالية للقارئ أيضاً.

قصيدة (هنا... كان) تعكس مشاعره العميقة تجاه القدس التي يصفها بأنّها موطن جميع المسلمين. ويعبّر الشاعر في هذه القصيدة عن ارتباطه العاطفي والروحي العميق بهذه المدينة المقدسة، إذ يرى الحجارة المقدسة كقلادة المؤمنين والتراب كحدقات عيونهم. فيقول:

"هي القُدسُ: مفتاحُ السَّماءِ وبابُها
ومنها إلى الرحمنِ، تُفْضي شعابُها
حجارتُها للمؤمنينَ قلائدٌ
وكُحْلُ عُيونِ المؤمنين تُرابَها" (محمود، 2001: 38-39)، الجدير بالذكر هو ذكر لفظة (السماء) والتي تدل في مفهومها العام إلى روعة جمالها وصفاء لونها لكن الشاعر تناولها بدلالة أخرى هي دلالة الشهادة وصعود أرواح الشهداء إلى بارئها، يستخدم الشاعر العديد من العناصر الطبيعية للتأكيد على قيمة القدس بالنسبة للمسلمين. على سبيل المثال، يشير الشاعر إلى القدس باعتبارها مفتاح الجنة، مما يعكس أهميتها الروحية والدينية. كما يشير إلى الحصى والتراب كرموز للأرض المقدسة، مما يعزز الشعور بالانتماء والارتباط العميق بالمدينة.

حيدر محمود هو أحد أبرز الشعراء الذين جمعوا بين ما بعد الحداثة والطبيعية في شعره. في قصيدته، يُظهر صداقته العميقة مع الطبيعة من خلال

استعماله للعناصر الطبيعية مثل الحجارة والتراب، والتي يضفي عليها قدسية خاصة، خاصة عندما يتحدث عن القدس. فهو يشبه الحجارة المقدسة بحلية لصدر المؤمنين، وُصفت تربة القدس بأنّها مصل للشفاء وتزيين العيون، مما يعكس الأهمية الروحية لهذه العناصر الطبيعية. إنّ "تشكيل البيئة بمفهومها الطبيعي أو الجغرافي أساسا في تمييز الفنون حيث تأكد بالفعل تأثير عوامل البيئة والمناخ في ذوق الشعوب وإبداعاتها" (برتليمي، 1983: 35)، وهذا الاستعمال للعناصر الطبيعية يُضفي على شعره معانٍ ثمينة ومميزة، ويُبرز قدرته على الجمع بين الجمال الطبيعي والرمزية الدينية.

في قصيدة (يا ولدي)، يستعمل الشاعر عناصر طبيعية مثل الريح والحجارة لخلق جو خانق يعكس الواقع الاجتماعي. فالرياح ترمز إلى التغيير العنيف والاضطراب، بينما ترمز الحجارة إلى الاستقرار والجمود، مما يظهر التحديات والصعوبات التي يمر بها المجتمع.

"يا ولدي!
وقد اختلط الحابل،
بالنابل،
والطالعُ..
بالنازل..
واشتدت ريحٌ القهر
لن يصمدُ
إلا من كان له صدرٌ
كالصّخر،
وإلّا.. من كان له،
يا ولدي.. ظهر..

فلماذا تسأل:
كيف انفجر أبوك؟!
ومضى..
لا يكمل شيئا،
ماذا
يمكن
أن يملك
يا ولدي
عبدٌ
مملوك!!؟" (محمود، 2001: 25-26)، جملة النداء (يا ولدي) في بداية القصيدة تجذب انتباه الجمهور وتخلق تواصلًا مباشرًا مع القارئ. هذا الأسلوب يضفي على القصيدة طابعًا شخصيًا ويجعلها أكثر تأثيرًا. استعمال الشاعر للمثل القائل يعكس حالة الفوضى التي يعيشها الحاكم، وقد أدى ذلك إلى زيادة التوترات السياسية في البلاد والذي يمثل صعود الهيمنة. إنّ تشبيه الجيران بالعاصفة يظهر كثرة الاضطرابات والصعوبات التي يمر بها المجتمع، مما يشير إلى أنّ أولئك الذين هم فقط من الصلابة كالحجارة هم من يملكون القوة لمقاومة هذه المحن. استخدام الحجارة للصدر والقلب في الأدب غالبًا ما يكون له دلالات سلبية، حيث يُستعمل لوصف الأشخاص عديمي الحساسية. "إنّ الفن إذا لم يكن سوى تسجيل لمظاهر الطبيعة لكان أقرب تقليد هو أكثر الأعمال الفنية إقناعا" (هربرت، 1986: 192)، ومع ذلك، يستعمل الشاعر هذا المعنى في اتجاه إيجابي، معبراً عن القوة والسلطة والقدرة على مواجهة الأعداء. هذا الاستعمال المبتكر يعطي

القصيدة عمقًا ومعنى جديدًا. إنّ خلق الأسئلة المتكررة في القصيدة يضيف إلى جمال القصيدة، ويزيد من تأثيرها العاطفي ويشد القارئ أكثر إلى النص.

تفاعل البيئة والحكمة في شعر حيدر محمود

يركّز حيدر محمود على العلاقة بين البيئة ومستوى حكمته، وهو محور مهم في فهم شعره؛ لأنّ الشعر الحديث يعتمد على فكرة مركزية، مثلما كانت القصيدة القديمة تعتمد على الرومانسية في تصوير الطبيعة. والشعراء لديهم وجهتا نظر مختلفتان في النظر إلى الطبيعة والاستفادة منها على مر التاريخ، كان هناك نهجان رئيسيان في الأدب: النهج العالمي والنهج الشخصي. النهج العالمي يتناول القضايا البيئية من منظور شامل، بينما النهج الشخصي يركز على التجارب الفردية والتفاعل الشخصي مع الطبيعة. وعناصر البيئة الحضارية للإنسان تتحدد في جانبين رئيسيين هما أولًا: الجانب المادي: وهو كل ما يمكن أن يصنعه الإنسان من مسكن وملبس ووسائل نقل وأدوات وأجهزة يستخدمها في حياته اليومية. ثانيًا: الجانب غير المادي: ويشمل معتقدات الإنسان وعاداته وتقاليده وأفكاره وثقافته، وأي قيم وأخلاق وعلوم مغروسة في النفس البشرية، سواء أكانت تلقائية أم مكتسبة (فرج، 2009، يُنظر: 83).

في قصائد حيدر محمود، يمكن ملاحظة كيف يستعمل العناصر الطبيعية مثل الريح والحجر لخلق أجواء تعكس واقع مجتمعه وتحدياته هذا الاستعمال للعناصر الطبيعية يعكس حكمة الشاعر في توظيف الطبيعة للتعبير عن مشاعر وأفكار عميقة وتأثير الطبيعة في الشعر العربي، وكيف أن بعض الشعراء يستخدمون عناصر الطبيعة كرموز في أعمالهم هذا النوع من

الشعر يعكس ارتباطًا عميقًا بالطبيعة، حيث يتم استخدام الزهور والأشجار وغيرها من العناصر الطبيعية كرموز تعبر عن مشاعر وأفكار مختلفة.

هناك اهتمام متزايد بدراسة العلاقة بين البيئة والأدب العربي، وكيفية تمثيل البيئة والطبيعة في الأدب. وينطوي ذلك على تحليل النصوص الأدبية من منظور بيئي، بهدف فهم كيفية تفاعل البشر مع الطبيعة وكيفية تأثير البيئة على الأدب، والعكس صحيح.

يتمتع حيدر محمود بنظرة عميقة ومتبصرة لعناصر الطبيعة، ويستعملها بشكل خلاق في شعره للتعبير عن القضايا البيئية والاجتماعية. ففي قصيدته (الطريق إلى القدس)، يعبّر عن قلقه العميق إزاء الاستنزاف البيئي بسبب الحرب والمتعطشين للدماء.. يعكس هذا الاستعمال للعناصر الطبيعية مدى تأثر الشاعر بالبيئة وكيفية استخدامه لها للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

"كلُّ يوم،
يضيعُ من المسلمين وطن:
كل يومٍ
تضيق المسافة،
بين المحيط،
وبين المحيط،
ويصغر يصغر
حجم الزمن" (محمود، 2001: 62)، إنّ الاستعمال الذكي للظرف (كل يوم) والفعل المضارع (يأتي) يثير فضول الجمهور ويحفزهم على قراءة القصيدة. كما أنّ تكرار كلمات مثل (البحر) و(يصغر) يزيد من تأثير النص ويعكس قلق الشاعر من أنّ البحر يصغر بسبب الحرب وتدمير منابع الحياة. ويبيّن هذا الاستخدام للعناصر الطبيعية تعاطف الشاعر مع الطبيعة وقلقه من

تدمير البيئة. ويرى الشاعر أنّ تعويض الدمار البيئي مهمة صعبة وتتطلب تضحيات كبيرة، مشيراً إلى التضحيات التي قدمها المجاهدون قديماً وحديثاً لحماية وطنهم.

تعبّر قصيدة (أيوب الفلسطيني) لحيدر محمود عن قلق ومعاناة الشعب الفلسطيني من خلال شخصية أيوب، رمز المثابرة والصمود في وجه الشدائد. في هذه القصيدة، يستعمل الشاعر الطبيعة كرمز للصمود والأمل: "لو ذاقَ أيوب بعضاً من مصائِبنا...لكان سُمِّيَ أيوب الفلسطيني" هذا البيت يعكس كيف أنّ معاناة الفلسطينيين تفوق حتى معاناة أيوب في الأساطير، مما يبرز قوة وصبر الشعب الفلسطيني في مواجهة التحديات.

"إنّي لأعلِنُ: أنّ الأرضَ عاقلةٌ
وليس يُنقذُها...
غيرُ المجانين...!
فيا بحارَ دمائي،
أغرقني سُفُني..
وأحرقي الأرضَ،
يا نَار الشرايينِ
ويا أظافر صبري،
مزّقي جسدي
ويا ملائكتي كوني شياطيني
اني لأعلن:
ان الريح قادمة
فمرحبا بك،

يـا أنفـاس حطـين" (محمـود، 2001: 73)، إنّ اسـتعمال الأحـرف المتشابهة مثل (لو) و(أن) يُعزّز منطق الأرض ويمنح النص سحرًا خاصًا. وتضيف الكتابة التعجبية أيضًا عنصر الدراما والتشويق، تضيف الكتابة التعجبية أيضًا عنصر الدراما والتشويق، وهذا ما يعزز وقع النص وجاذبيته. يستعمل حيدر محمود الطبيعة كرمز للتعبير عن الهموم البيئية والفكرية. يحتاج المستقبل إلى إعادة دمج الفن كنمط أسلوبي مستقل للإدراك والتعبير، كنمط حسي مساوٍ ومضاد للتجريد الفكري، حيث يدخل العنصر الفكري في ذهن الفنان، حيث يكتسب رموزاً حسية وموضوعية(ريد، 1975، يُنظر: 190)، من خلال التكرار وفعل الأمر، يعبر بوضوح عن مخاوفه من تأثير الإنسان السلبي على البيئة. تعتبر الأرض حكيمة، بينما يرى أنّ منقذي الأرض هم المجانين الذين يلحقون أضرارًا أقل بالطبيعة مقارنة بالحكماء الذين يسعون للثروة والسلطة.

يتجلى النهج الفكري لحيدر محمود تجاه الطبيعة في العديد من قصائده، إذ يعبر عن احترامه العميق للطبيعة والصحراء ويعتبرها رمزاً للحكمة والكرامة. ويعكس هذا العناية بالطبيعة وعيه البيئي ورغبته في الحفاظ عليها للأجيال القادمة. في قصيدته لامية الحجر يقول:

"من أربعين خريفاً،
والعيون على كل الدروب،
ولما يظهر!!البطل
.. وكيف يظهر؟!
والصحراء عاقرة..
من ألف عام..
وما في رملها.. رجل!!

مات النخيل الذي فيها،
فلا عذق..
وجف ماء سواقيها..

فلا بلل!!" (محمود، 2001: 81)، إن استبدال كلمة (خريفاً) بكلمة (عام) يعكس بقوة نظرة الشاعر إلى السنوات القليلة الماضية باعتبارها فترة جافة وباردة لا حياة فيها. هذا الاستعمال للمبالغة يزيد من تأثير النص ويعطي القارئ إحساسًا بعمق الأزمة التي يصفها الشاعر. ويضيف تكرار علامات التعجب في نهاية الجملة عنصراً درامياً يجذب انتباه القارئ ويعمق التأثير العاطفي للنص على الجمهور. تعدّ الصور التي يصورها الشاعر، مثل النخيل الهامدة والأنهار الجافة، عن الحزن والأسف على ما فعله الإنسان بالطبيعة. إنّ ندم الشاعر على تعدي الإنسان على الطبيعة يعكس وعيه البيئي ورغبته في حماية البيئة. يرفع هذا النوع من الشعر الوعي ويحث الناس على التفكير في تأثير أفعالهم على البيئة. ترمز كلمة (البطل) إلى المسؤولين الذين وعدوا بتطوير البلاد. هذا النوع من الشعر يعزز من الوعي البيئي. الشاعر يصف خيبة أمله في عدم تحقيق هذه الوعود، ويصور الصحراء كرمز للجفاف والفراغ، وفي هذه الحالة، إذا تساءل المرء عما إذا كانت البيئة وسيلة للمقارنة، فقد تكون الإجابة بنعم، وقد يجادل بعضهم بأنّ المتغيرات البيئية ما بعد الشكلية هي وسيلة للمقارنة والمقارنة والمفاضلة. وبعبارة أخرى، يمكن أن يكون الكشف التحليلي ما بعد الشكلي على هذا النحو (البزاز، 1999، يُنظر: 8)، يؤكد الشاعر على أهمية حماية الطبيعة ومعرفة عناصر البيئة. ويعبّر وصف أشجار النخيل المتضخمة في الصحراء القاحلة عن الحزن والأسف لما فعله الإنسان بالطبيعة. يرفع هذا النوع من الشعر الوعي البيئي ويشجع الناس على التفكير في تأثير أفعالهم على البيئة.

يتجلى نهج حيدر محمود الفكري تجاه الطبيعة في قصائده التي تعبر عن احترامه العميق للطبيعة ورغبته في حمايتها. وهذا يعكس وعيه بالبيئة ورغبته في حمايتها للأجيال القادمة.

في قصيدة (الجعفرية) يعبّر الشاعر عن مشاعره تجاه الطبيعة من خلال صور مؤثرة للنخيل الميتة والأنهار الجافة، إذ يزيد استعمال المبالغة والتعجب من تأثير النص ويمنح القارئ إحساسًا بعمق الأزمة التي يصفها الشاعر إذ يقول:

"سيدي يا ذا الجناحين
- ولو لمرة-
حدق، يسوئك المنظر!
الربى الخضرُ التي تعرفها
لم تعد خضرا..
ولا تُخضوضر!
الرمال السُمر..
مذ غادرها نخلها
النمل بها.. منتشر"(محمود، 2001: 176)، شعر حيدر محمود رقيق ومؤثر. فاللون الأخضر يرمز فيه إلى الربيع والنمو والحياة، لكنه سرعان ما يتلاشى ليعكس ذبول الطبيعة وجفافها. يعبّر هذا التلاشي عن الحزن واليأس الذي يشعر به الشاعر إزاء تدهور البيئة. فاللون الأخضر يعني الأمل والحيوية، بينما يعني اللون الأصفر الذي يشبه الشعير الجفاف واليأس إذ إنّه "يرتبط بالمرض والسقم والجبن والعذر والبذاءة والخيانة والغيرة" (عمر، 1983: 184)، وعلى الشاعر أن يستعمل اللون ما دام متناسقاً ومثيراً للعناية، وأن يكون الموضوع رسولاً أميناً بين ضمير الشاعر والقارئ (التنير، 1988،

يُنظر: 33)، وهذا ما يعزز من التأثير العاطفي للقصيدة ويجعل القارئ يشعر بعمق الأزمة البيئية التي يصفها الشاعر. اللون في هذه القصيدة له وظيفة عاطفية قوية، إذ يعبر عن المشاعر الإنسانية تجاه الحياة الطبيعة في بعض الأحيان، فالألوان فيها "اخضرار واصفرار وفيها أوراق خضر نضيرة وأغصان مياسة، وفيها نور وأزاهير وشذا وعبير وفيها حفيف الغصون وتغريد الطيور وفيها مياه صافية فضية بالضحى عسجدية عند الأصيل" (الشكعة، 1975، 259) وفي أحيان أخرى، يعبر عن موت الطبيعة واليأس. هذا الاستعمال الذكي للألوان يعكس وعي الشاعر الإنساني ورغبته في الحفاظ عليه.

في عصر التكنولوجيا والازدحام، يؤكد الشاعر على أهمية حماية الإنسان ورعايته. ويعتقد أنّ بقاء البشرية ورفاهيتها مرتبط بالحفاظ على التوازن بين البيئة والطبيعة. ويعبّر في قصائده عن قلقه من تأثير التكنولوجيا والتحضر على البيئة. ويستعمل صورًا قوية ومؤثرة مثل أشجار النخيل الميتة والأنهار الجافة للتعبير عن هذا القلق، مما يعكس حزنه وأسفه على ما فعله البشر بالطبيعة. يرفع هذا النوع من الشعر الوعي ويشجع الناس على التفكير في تأثير أفعالهم على البيئة.

في قصيدته (أرخت عمان جدائلها)، يستعمل الشاعر صورًا طبيعية قوية للتعبير عن مشاعر الفخر والانتماء للوطن. الطبيعة هنا ليست مجرد خلفية للأحداث، بل هي جزء لا يتجزأ من التجربة الإنسانية. هذا الأسلوب يعكس فلسفة الشاعر بأن الطبيعة ليست في خدمة الإنسان فقط، بل هي جزء من وجوده الروحي والجسدي. الطبيعة والشعر يتفاعلان معًا لخلق تجربة شعرية غنية ومعبرة.

"لكن الأرض

تمر بهم

مستعجلة،
لا تتوقف
فوق الجسر المهجور،
سوى عربات الموتى
تحمل ما يُسقطه
الزمن من الأوراق
وتمضي والمنتظرون
بلا جدوى
لا يجنون

سوى الآلام"(محمود، 2001: 29)، يعبّر الشاعر عن مشاعره من خلال صور مؤثرة مثل تساقط أوراق الشجر التي يعتبرها نوعًا من الموت. تعكس هذه الاستعارة فكرة أن البشر، مثل الأرض، سيعودون في النهاية إلى الطبيعة. من خلال تشبيه الأرض بالإنسان الهشّ، يعزز الشاعر فكرة الموت والعودة إلى البدائية. واستعمال الشاعر لصور الطبيعة عن هذه الأفكار يعكس العلاقة العميقة بين الطبيعة والإنسان. تساقط أوراق الأشجار كناية عن الاستشهاد وعن الارتباط والانسجام بين الطبيعة والإنسان، ويعكس احترام الشاعر للطبيعة ورغبته في حمايتها.

للشاعر عن علاقته عميقة بالطبيعة إذ يستعمل النخلة كرمز وعن علاقته العميقة بالطبيعة. يشبّه الشاعر الطبيعة بالإنسان ويستخدم النخلة كرمز للقوة والصمود، مما يعكس الروح الإنسانية للتغلب على الصعوبات. تعزز القصيدة فكرة أنّ النخلة ليست مجرد شجرة، بل هي كائن حي يعبر عن المشاعر والأحاسيس، وأنّ الطبيعة والإنسان لا ينفصلان، من المعلوم أنّ كل عصر يتطور وفقًا لقوانين جدلية. لذا فإنّ الإنسان يتبع العصر، وليس

طبيعة الإنسان (ساتر، يُنظر: 103)، وهذا يعكس فلسفة الشاعر التي ترى بأنّ الطبيعة ليست فقط خلفية للأحداث، بل هي جزء لا يتجزأ من التجربة الإنسانية.

"قد نضبنا وجف ماء قوافينا وجئنا من دجلة نستزيد
مات كل النخل فينا، ولكن نخيل العراق بعدُ ولودُ..
كلما قصت المقصات عنقوداً تدلى من سعفه عنقودُ،
فشذى يتبع الشذى، والجنى الطيب دان، وظلّه ممدود"(محمود، 2001: 346- 347).

هذا الرمز يعبر عن الروح الإنسانية التي تتحدى الصعاب وتستمر في الأمل. النخيل في هذه القصيدة يمثل التراث والهوية، وهذا هو "الأساس الثابت في الفن دائما هو هذا التطابق بين ما يبدعه الفنان والفكرة التي يبلورها، إذ إنّ الفنان يحرص دائما على مثل هذا التطابق ليحقق وحدة العمل الفني الذي يحقق هدفا مشتركا في المجتمع" (هلال 1998: 170)، ويعكس أيضًا الوحدة بين الطبيعة والإنسان. يحاول الشاعر أن يربط بين النخيل والشهداء، مما يعزز فكرة أنّ الطبيعة والإنسان متشابكان بشكل لا ينفصل استعمال الشاعر لكلمات مثل (ذو) و(أنكوند) يعزز من قوة الصور الشعرية ويضيف عمقًا إلى المعاني. هذا الأسلوب يعكس قدرة الشاعر على استعمال اللغة بشكل مبدع للتعبير عن مشاعره وأفكاره.

في قصيدة (هنا...كان)، يتناول الشاعر المكان المقدس وأهميته من خلال تصويره ككائن حي يمتلك ذكريات ومشاعر إذ يصف المكان المقدس وكأنّه عاقل يتذكر الأحبة ويذرف الدموع، مما يعزز من قدسية المكان وأهميته الروحية. تركز فلسفة الشاعر على أنّ المكان ليس مجرد موقع جغرافي، بل هو جزء من الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية. تمثل

الأماكن المقدسة في هذه القصيدة الروح الإنسانية والعلاقة العميقة بين الإنسان والأرض.

"وتحملني الذكرى على رمش عينها إليها فتبكي إذا تراني قبابُها
وتصفعني العشرون عاما من الاسى ويلسعني لسع السياط مُصابُها
أُحدقُ فيها لا أراها وإنما أرى زهرة الزهرات يذوي شبابها" (محمود، 2001: 39-40).

في قصيدة (تأبط شراً)، يستعمل الشاعر شخصية (تأبط شراً) الأسطورية كرمز للتمرد والقوة. ويتطلع إلى ولادة جيل جديد من المثقفين والمحاربين الذين يمكنهم تحويل الصحراء وإحياء روح البلاد. هذا التحول، في نظر الشاعر، يتحقق من خلال تربية الأطفال على قيم الحرية والتمرد ضد الظلم. واستخدام الشاعر للرموز والأساطير يعزز من عمق النص ويضيف طبقات من المعاني. النخيل، الزهور، والصحراء كلها رموز تعبر عن الصمود، الأمل، والتحدي. "تعامل مع طبقة ذات هوية تاريخية ذات مفهوم انبعاثي ينطلق من نظرة علمية تربط بين الماضي والحاضر"(ديوي، 1963: 35)، هذه الرموز تعكس رؤية الشاعر للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، وكيف يمكن للأدب أن يلهم التغيير الاجتماعي والسياسي.

يستحضر الشاعر في قصيدة (رسالة إلى صلاح الدين) رموزاً طبيعية مثل (البساتين) و(الزيتون) و(البيوت الزجاجية) للتعبير عن أهمية الأراضي المحتلة وتحريرها. وتعكس هذه الرموز صلة الشاعر العميقة بالطبيعة واستخدامه للطبيعة كوسيلة للتعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية. ذلك لأنّ الثقافة فضلًا عن كونها إحدى القواعد الأساسية للتطور الاجتماعي لها تأثير كبير على تعبير الفنان وانعكاسها من خلال ما تحدثه من تغير الميول والنزعات الخيالية في الاتجاهات الخطية في تطور الأساليب الفنية، في

تـاريخ أي مجتمـع أو حضـارة مـن الحضـارات قـد يظـل تطـور المجتمـع واتجاهاته العامة ونوع التطور وسرعته محدوداً، وقد يحدث التطور في نوع وسرعة التطور من خلال التعبير الفني وآفاقه الجديدة (نوري، 1977، يُنظر: 256)، يعكس هذا النهج رؤية الشاعر بأن البيئة جزء من الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية.

"سيقتلعون عينيها
لأنك نمت تحت عريشة
الأهداب ...
وينتزعونَ
من بستان خديها
زهورا كنت تعشقها
وسوف تجزين بالسكين
كل جدائل الزيتون...
لأنك.. كنت
من خصلاتها الخضراء
تجدل راية الأقصى
وتعزل ثوبه الزاهي

ليـوم العـود الميمـون" (محمـود، 2001: 55- 56)، تعكـس هـذه الاستعارات ارتباط الشاعر العميق بالطبيعة واستعماله للطبيعة كوسيلة للتعبير عن القضايا الوطنية والإنسانية. يحتفي حيدر محمود بحطين كشخصية الأم، معززًا فكرة أنّ الوطن هو بمثابة الأم لشعبها. لأنّ الثقافة والفن، على سبيل المثال، ينبثقان من البيئة والشعب معًا، ويتكيفان مع الظروف الاجتماعية لكل جيل وعصر(مونرو، 1972، يُنظر: 258)، ويعبر

عن صعوبة انسحاب الحزن من عيون (حطين) وقص شعرها بأيدي الأعداء. هذا الأسلوب يعكس رؤية الشاعر للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، وكيف يمكن للأدب أن يلهم التغيير الاجتماعي والسياسي.

ابتكار أساليب جديدة لتجسيد الحياة الطبيعية.

يستعمل حيدر محمود أسلوب التغريب في شعره بطريقة مبتكرة، حيث يعبّر عن عناصر الطبيعة بمعانٍ غير تقليدية، مما يعكس رؤيته الفريدة للعالم. وتساعد هذه التقنية على بث الحياة في حقائق وظواهر الطبيعة وجعلها أكثر حيوية وتأثيرًا في نفس القارئ.

في قصيدته (رسالة إلى صلاح الدين)، يستعمل عناصر مثل (البستان) و(الزهرة) و(الزيتون) لتجسيد المصائب التي حلت بالأرض وأهلها، مما يعزز قوة رسالة القصيدة ويجعلها أكثر تأثيرًا. يعكس هذا الأسلوب قدرة الشاعر على استعمال اللغة بشكل خلاق للتعبير عن مشاعره وأفكاره. وفي قصيدة (نشيد السالك)، يعبر حيدر محمود عن نقده الشديد لرئيس الوزراء الأردني آنذاك، مما أدى إلى سجنه. يستعمل الشاعر أسلوب التغريب، حيث يكسر القواعد التقليدية للعالم الطبيعي، مما يجعل القارئ يدرك قوة الرسالة الشعرية وتأثيرها.

حيدر محمود يستعمل عناصر الطبيعة بشكل مبتكر ليعبر عن مشاعره وأفكاره السياسية. وهذا الأسلوب يعزز من قوة النص ويجعل الرسالة أكثر تأثيرًا على القارئ. ويتفوق على أقرانه في استخدام اللغة بشكل مبدع لتقديم معاني جديدة ومختلفة.

"وإنّني ثمّ أدري أنّ ألفَ يدٍ
تمتدُّ نحوي، تريد الأحمرَ القاني

فليجرِ؛ علَّ نباتاً مات من ظمأٍ
يحيا به فيعزّيني.. بفقداني!
وتستضيءُ به عينٌ مسهّدةٌ
فيها كعين بلادي.. نهر أحزانِ!
وحسبيَ الشعر ما لي من ألوذُ بهِ
سواه.. يلعنُهم في كلِّ ديوانِ
وهو الوليُّ الذي يأبى الولاءُ له
أنْ ينحني قلمي.. إلاّ لإيماني" (محمود، 2001: 97)، وهناك تشابه بين لون الورد الأحمر ولون الخدود الحمر الذي يدل على الرفاهية والهدوء، ولون الدم؛ لأنّ هناك تناسقًا في اللون بين الاثنين، ولكن الشاعر يقارن بين لون الورد الذي هو رقيق وجميل وبين لون الدم المسفوح على الجثة وما فيه من روعة وموت.

في قصيدة (نشيد السالك)، يعبر حيدر محمود عن التضحية بالنفس لإحياء الأرض ونباتاتها العطشى. يقدّم الشاعر دمه كرمز للتجديد والأمل، مما يعكس رؤيته العميقة لأهمية التضحية من أجل الأمة. هذا النهج يعزز قوة رسالة القصيدة ويؤثر في القارئ. يرى الشاعر أنّ التضحية بالنفس توقظ الشعب من سباته وتلهمه للعمل من أجل الوطن. يرمز اللون الأحمر في القصيدة إلى الحرب والقتل والقمع، مما يبرز مرارة الواقع المعيش. يوظف الشاعر هذه الرموز لتقوية تأثير النص وإبراز حزنه العميق على الأرض المحتلة. وباستعمال استعارات مثل (النباتات العطشانة) و(النهر الحزين) يعزز قوة الرسالة الشعرية ويبرز أهمية التضحية من أجل الوطن. هذا الأسلوب يظهر مهارة الشاعر في استعمال اللغة بشكل إبداعي للتعبير عن مشاعره وأفكاره عبر استعماله للتغريب والتشبيهات المبتكرة. ويقدم مفهومًا

جديدًا وهو أن سقي النباتات يتمّ بالدم، مما يعزز قوة الرسالة الشعرية ويجعلها أكثر تأثيرًا. ويضيف تبايناً مميزاً ويزيد من تأثير النص. إنّ التشبيه بين (النهر) و(الحزن) له تأثير خاص على النص الشعري ويعزز قوة الرسالة الشعرية.

في قصيدة (لو...)، يستعمل الشاعر العناصر الطبيعية مثل الشمس والمطر والعاصفة بطريقة تكسر التقاليد التقليدية وتخلق جمالاً فريداً في النص. يعكس هذا الأسلوب قدرة الشاعر على استعمال الاغتراب لتقديم معانٍ جديدة ومبتكرة. فالشاعر يستعمل هذه العناصر الطبيعية للتعبير عن مشاعره وأفكاره بطرق غير تقليدية، مما يعزز تأثير النص ويجعل الرسالة أكثر قوة. إن استعمال الشمس والمطر والعاصفة كرموز يعكس رؤية الشاعر للعالم وكيف يمكن للطبيعة أن تعبر عن المشاعر والتجارب الإنسانية.

"يا من يقول: لا..
لكل يد..
تحجب شمس الغد..
عن حجر..
واعد كف النار أن تجئ!
وقمر..
اقسم بالإعصار، ان يضئ!
ومطر بريء...
يغسل هذا الوسخ اللعين
فقد غرقنا كلنا..
في الطين..
لقد غرقنا كلنا في الطين" (محمود، 2001: 110-111).

يستعمل الشاعر الشمس والمطر والعاصفة والقمر للتعبير عن حالة عدم اليقين والأزمة التي يعيشها هو وبلاده. وتعكس هذه العناصر الطبيعية رؤية الشاعر لأهمية الطبيعة في جلب النور والأمل للأوضاع الصعبة وتجديد الحياة والأمل. يذكر الشاعر حجرًا موضوعًا في النار وسمكة تضيء به، فيرمز إلى التضحية والتجديد. يرمز المطر هنا إلى التطهير من التلوث، مما يعزز فكرة أنّ الطبيعة قادرة على تجديد نفسها وتطهير الأرض من الأزمات. يعكس استعمال الشاعر لمثل هذه الرموز الطبيعية قدرته على كسر التقاليد التقليدية وخلق جمال فريد من نوعه. ويعزز هذا الأسلوب من تأثير القصيدة، مما يجعل الرسالة الموجهة للقارئ أكثر قوة وتأثيراً.

في قصيدتي (من يوميات بديع الزمان) و(الطلياني)، يستفيد الشاعر بشكل غير عادي من عناصر الليل والنهار. ويعبر عن شعوره بأنّ أيامه أقصر من الليالي، مما يعكس حالة من القلق والتوتر التي يعيشها. استعمال الليل والنهار كرموز يعكس التناقض بين الأمل واليأس، الضوء والظلام. مما يعزز من جمال النص ويجعله أكثر تأثيرًا.

"فالغريب.. أنا
واللبيب الذي كما غاص في الوحل
طالت أظافره.. وأستطال!
ثم.. أصبح كيسا من المال
يمشي على الرمش ـ منتشيا ـ
ويرش عل حائط الوقت
رائحة الموت..
قلت... الغريب أنا
والعجيب أنا!!

ونهاري قصير
وكل الليلي طوال!" (محمود، 2001: 130-131).

في هذه الكلمات المتساوية يخلق الشاعر موسيقى داخلية تستحوذ على انتباه المتلقي وتزيد من تأثير النص. لكلمة (غريب) معنيان: الابتعاد عن الوطن والاختلاف، وكلاهما يتطابقان مع كلمة (لبيب) التي تعني الحكيم. هذا الاستعمال المزدوج للمعنى يضفي عمقًا على النص ويزيد من طبقات الفهم. يُنظر الشاعر في الاختلاف الطبيعي بين طول النهار وطول الليل، ومصادر السحر والجمال، وسفن الخيال والإلهام (السعيد، 1973، يُنظر: 120). يعكس هذا الأسلوب قدرة الشاعر على كسر التقاليد الجمالية وخلق جماله الخاص. فيشعر بظلام الليل ويصفه بأنّه مدة زمنية لا نهاية لها. يعكس هذا الأسلوب قدرة الشاعر على كسر التقاليد الجمالية وخلق جمال فريد من نوعه.

خاتمة

1- يمزج حيدر محمود بين الخيال الرومانسي والواقع، مما يجعل من الصعب أحيانًا الوصول إلى الفكرة المركزية للقصيدة دون التعمق في النص. يعبّر هذا الخيال عن حنينه إلى الطبيعة، وهو ما يتجلى بشكل خاص في القصائد التي كتبها في المنفى، والتي يعبّر فيها عن حنينه إلى كاشان.

2- استعمال الشاعر للعناصر الرئيسية مثل الماء والأرض والشمس والبحر والهواء يعكس نظرته الشمولية للطبيعة، بينما تضيف العناصر الأقل أهمية مثل البراكين والصحاري والصخور عمقاً لرؤيته الشعرية.

3- كراهيته لنتائج الحرب المدمرة على الطبيعة تظهر بوضوح في شعره، حيث يرى أنّ الحرب لا تقتل البشر فقط، بل تدمر أيضًا عناصر الطبيعة وتفرض عليها الصمت والموت.

4- يدمج الشاعر بين العناصر الطبيعية والتغريب ليخلق تأثيرًا فريدًا يعكس حبه العميق للطبيعة. استعماله للعناصر غير العقلانية وغير المألوفة يبرز عنايته بالبيئة ويجعل الجمهور يتفاعل مع رسالته.

5- يهدف أسلوب النداء والمبالغة في قصائده إلى إثارة عناية الجمهور بالأنظمة البيئية. ويستعمل الشاعر الظروف والمفاعيل مثل (يوم كامل) ليعكس تعلق الناس بالطبيعة، مقدماً الأرض ككائن حي يستحق الاهتمام والرعاية.

6- يعكس هذا الأسلوب رؤية الشاعر العميقة للطبيعة وأهمية الحفاظ عليها، مما يجعل قصائده وسيلة فعالة للتعبير عن أفكاره واهتمامه بالبيئة.

المراجع

- الأغا، وسماء حسن، الواقعية التجريدية في الرسم العراقي المعاصر. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000.

- برتليمي، جان. بحث في علم الجمال. ترجمة. أنور عبد العزيز. الجامعة المستنصرية. المطبعة المصرية. 1983.

- البزاز، عزام. التحليل والتصميم، وزارة الثقافة والأعلام، المطبوعات، بغداد. العراق. 1999.

- التنير، سليم. ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه.. دار الكتاب العربي. دمشق. سوريا. 1988.

- ديوي، جون. الفن خبرة. ترجمة. زكريا إبراهيم. مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود. دار النهضة العربية. مصر. 1963.

- الروضان، عبد عون. الشعراء العرب في القرن العشرين؛ حياتهم - شعرهم - آثارهم. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان. عمان. الأردن. 2005.

- ريد، هربرت. الفن والمجتمع. ترجمة فارس متري ظاهر، دار القلم، بيروت، لبنان، 1975.

- سارتر، جان بول. الوجودية مذهب إنساني. ترجمة. عبد المنعم الحنفي.

- السعيد، محمد مجيد. الشعر في ظل بني عباد. ط1. مطبعة النعمان. النجف الأشرف. العراق. 1973.

- السويدي. محمد. مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1991.

- الشكعة، مصطفى. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه. دار العلم للملايين، بيروت. لبنان. 1975.

- الشيمي، أحمد. الشعر الفلسطيني المعاصر. دار الأمل. عمان. الأردن. 2015؛ حيدر محمود. موقع اتحاد الكتاب العرب؛ أدباء فلسطينيون. تقرير نشر في الجريدة الفلسطينية لعام 2022.

- عبد الرازق، حسن إسماعيل. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق. ط1. دار الطباعة المحمدية. القاهرة. مصر. 1983.

- عبد الفتاح، رياض. التكوين في الفنون التشكيلية. ط/ 1دار النهضة العربية. القاهرة. مصر. 1986.

- عمر، أحمد مختار. اللغة واللون.. ط1. دار البحوث العلمية. الكويت. 1983.

- فرج، محمد سعيد. علم اجتماع الأدب. ط1. دار المسيرة للتوزيع والطباعة. الأردن. 2009.

- فيشر، آرنست. ضرورة الفن. ترجمة. أسعد حليم. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة. مصر. 1971.

- كارتر. ديفيد. النظرية الأدبية. ترجمة. باسل المسالمة. ط1. دار التكوين. دمشق. سوريا. 2010.

- محمود، حيدر، الأعمال الشعرية، 2001.

- م. كوركينيان. نظرية الأدب. ترجمة. جميل نصيف. دار الشؤون الثقافية. بغداد. العراق. 1986.

- مجموعة مؤلفين. البنيوية التكوينية والنقد الأدبي. ترجمة. محمد سبيلا. ط2. مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت. لبنان. 1986.

- مجموعة مؤلفين. المعجم الوسيط. دار المعارف. القاهرة. مصر. 1972.

- مونرو، توماس. التطور في الفنون. ترجمة. عبد العزيز توفيق جاويد (وآخرون). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1972.

- نجيب، محمود زكي. الشرق والفنان. دار العلم. القاهرة. مصر. 1982.

- نوري، جعفر. الفكر طبيعته وتطوره. ط1. منشورات مكتبة التحديد. بغداد، العراق. 1977.

- هربرت، ريد. معنى الفن. ترجمة. سامي خشبة. مراجعة مصطفى حبيب. دار الشؤون الثقافية. بغداد. 1986.

- هلال، خالد عبد الكريم. الاغتراب في الفن دراسة في الفكر الجمالي المعاصر. جامعة خان يونس. ط1. بنغازي. ليبيا. 1998.